مقدمة

بسم الله ذي الجلال والإكرام. . .

الحمد لله الذي بفضله تبدأ المكرمات وتكتمل. . .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وبما يليق بعزته وكبريائه والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والقدوة المعطاة، سيدنا محمد النبي الأكرم، علمه سبحانه ما لم يعلم، وأرسله للناس خير معلم، ميزه بفضائل النعم، وخصه ببدائع الحِكَم، وآتاه جوامع الكَلِم، ومن ذلك قوله: «**إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[1]، تجديد لترقى به إلى الحق راشدة، وتريد به صلاح الدين والدنيا قاصدة، فتكون على الناس وباقي الأمم شاهدة. وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) رواه أبو داود، رقم (٤٢٩٣).

وبعد:

فإن من دواعي استمرار العلوم في أداء رسالتها المعرفية وتوثيق صلاتها بمواقع الوجود البشري خضوعها لمطالب التجديد، وإلحاق تغييرات تتناسب مع طبيعتها التأسيسية وقضاياها المعرفية، حتى تستجيب لأسئلة العقل الإنساني ومتعلقاته الفطرية والروحية والمادية.

ولعل العلوم الآلية المنهجية المعتبرة في عداد العلوم المنتجة للمعرفة الإنسانية، أولى في هذا الاعتبار وأحق بهذا النظر، لملامستها جوانب فاعلة في التجديد، وعلم أصول الفقه واحد من هذه العلوم؛ الذي يفيد إرجاع النظر في مباحثه العلمية ومطالبه الأساسية في إجراء متحققات واقعية في علمه العملي؛ المتمثل في فقه التكليف وتصريف الأحكام الشرعية.

تندرج فصول ومطالب هذا الكتاب: «**نظرية التجديد الأصولي، من الإشكال إلى التحرير**» في دراسة إمكانات التجديد في علم أصول الفقه من حيث إشكالاته وقضاياه المعرفية؛ والمرتبطة بدواعيه وآلياته ومقاصده ثم موضوعاته، وذلك هو محور **بابه الأول**، وكذا المداخل المتاحة والمفترضة في تحرير مسألة التجديد، بحسب التحقق والإنجاز المتناسبين مع طبيعة هذا الفن، وذلك هو مدار **بابه الثاني**.

وختاماً، فإن النظرات المودَعَةَ بين سطور هذا العمل، ما هي إلا اجتهادات شخصية، قصدها الإسهام جهد المستطاع في بناء صرح تجديدي لعلم أصول الفقه، عله يكون سبباً في تحقيق نهضة أمتنا ورفعة شأنها.

وهي لا تدَّعي لنفسها صواب الرأي وسداده فيما أفصحت عنه من أفكار، وإنما هي آراء وتأملات انضم بعضها إلى بعض، حسب ما سمحت به الفرص، وجاد به الوقت. فإن الإنسان مهما بلغ به بذل الجهد واستفراغ الوسع في طلب الشيء فإن التقصير مآله والعجز نهايته، وقد حالف الصواب مقولة الجرجاني في «إعجازه» لما قال: «وإنك لتتعب في الشيء نفسك وتكد فيه فكرك وتجهد فيه كل جهدك؛ حتى إذا قلت قد قتلته علماً وأحكمته فهماً؛ كنت الذي لا يزال يتراءى لك فيه شبهة ويعرض فيه شك» [دلائل الإعجاز، ص٣٦٠].

وقبل أن يأخذني الدرس الأصولي بتجريده ومباحثه النسقية، أنتهز هذه الفرصة لأقدم الشكر الجزيل لمركز نماء للدراسات والبحوث الذي انشغل في رؤيته بقضية إعادة صياغة العقلية الشرعية من خلال استئناف النظر في العلوم المنهجية وفي مقدمتها علم الأصول، فوجدت ضمن مشاريعه البحثية باباً ألج منه لتحقيق ما نتقاسمه من انشغالات معرفية في هذا الحقل المعرفي.

أسأل المولى العلي القدير توفيقه وسداده، إنه نعم المولى ونعم المعين.

«رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري»

الحسان شهيد
في جرسيف، فاتح المحرم ١٤٣٣هـ،
المغرب